

«الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي - الاسرائيلي»

عقدت هذه الندوة في مكتب المركز بالقاهرة، وقد شارك فيها طبقا للحروف الهجائية كل من:

د. أحمد صدقي الدجاني

رئيس المجلس الاعلى للتربية والثقافة
والعلوم - منظمة التحرير الفلسطينية.

أ. السيد يسين

مدير مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

د. علي الدين هلال

استاذ العلوم السياسية في كلية الاقتصاد
والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

د. قاسم عبده قاسم

استاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية
الأداب - جامعة الزقازيق - مصر.

أدار الندوة وأعدھا للنشر: د. أسامة الغزالي حرب

خبير بمركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

● د. أسامة الغزالي: اسمحوا لي أن أرحب بكم في مقر مركز دراسات الوحدة العربية بالقاهرة في إطار هذه الندوة «للمستقبل العربي» عن «الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي» بمناسبة مرور ثمانية قرون على النصر العربي الإسلامي في حطين.

وبداية، فإن تلك الندوة تقوم على افتراض وجود «مشابهة ما» بين الغزوة الصليبية قديماً، والغزوة الصهيونية المعاصرة، وهما اللتان تمثلان معا استنزاعاً لكيان دخیل على المنطقة، وسط بيئة عربية وإسلامية رافضة له.

وسعيًا إلى تركيز النقاش، وتوجيهه نحو الوجهة التي تخدم غرض الندوة، فإننا نطرح في البداية أربعة أسئلة يمكن أن تكون بمثابة مفاتيح للحوار والنقاش، كما يلي:

- ما هي إمكانية التشابه، وحدودها، بين الغزوة الصليبية قديماً والغزوة الصهيونية حديثاً، والظروف التي أحاطت بهما، وردود الفعل حيالهما؟

- كيف يدرك كل من الفكر الإسرائيلي والفكر العربي هذه التشابهة، وما دلالة هذا الإدراك بالنسبة لكل من النظرة الإسرائيلية للتاريخ والنظرة العربية له؟

- ماذا كان العامل الحاسم في الانتصار العربي الإسلامي على الصليبيين في إطار مجمل العوامل التي أدت إلى ذلك الانتصار؟

- ما هي أبرز دلالات المواجهة العربية - الإسلامية ضد الصليبيين بالنسبة لمستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، وبالنسبة لمستقبل وضع إسرائيل في المنطقة؟

أدعو الآن د. قاسم عبده قاسم لبدأ الحوار حول السؤال الأول.

○ د. قاسم عبده قاسم: السؤال حول مشروعية أو إمكانية التشابهة، أو عقد الدراسات المقارنة بين الحركة الصليبية ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، والحركة الصهيونية في القرن العشرين، يستدعي منا أن نركز على حدود التشابهة، وذلك على عدة محاور: المحور الأول، هو المحور الجغرافي أو المكاني، والذي يتعلق بمسرح الغزوتين، وهو مسرح لم يتغير.

المحور الثاني، هو الأيديولوجية التي أفرزت كلاً من الحركة الصليبية والحركة الصهيونية.

المحور الثالث، يتعلق بأساليب العمل لتنفيذ دعاوى الحركة الصليبية بين أواخر القرن ١١ وأواخر القرن ١٣، وأساليب تنفيذ دعاوى الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن العشرين.

فيما يتعلق بالمسرح الجغرافي للحركتين، فإنه يتمثل في فلسطين أساساً كجسر، والمنطقة العربية عموماً كمجال حيوي للتوسع والنفوذ لكل من الحركة الصليبية في العصور الوسطى، والحركة الصهيونية في العصر الحديث. وهذه المسألة لا تحتاج إلى تفاصيل كثيرة.

من الناحية الأيديولوجية قامت الحركة الصليبية في العصور الوسطى على فكرتين أساسيتين قامت عليهما أيضاً الحركة الصهيونية في تصوري.

الفكرة الأولى، هي فكرة الأرض الموعودة، والثانية هي فكرة الاختيار أو شعب الله المختار.

ففي العصور الوسطى، ادعى الصليبيون - كما ورد في نصوص الخطب التي أورها المؤرخون للبابا أوربان الثاني - أن المسيحيين الكاثوليك هم شعب الله المختار لتنفيذ مهمته، بهزيمة أعداء الرب في أرض صهيون. ولأن العقيدة المسيحية تقوم على أساس أن المسيحيين هم بنو إسرائيل الجدد، فإن بني إسرائيل يكونون قد فقدوا امتيازهم كشعب الله المختار لأنهم رفضوا بنوة المسيح، وهذا ما بررته الكنيسة الكاثوليكية. ثم تحدّد مجال «الاختيار» في دائرة أكثر ضيقاً، حينما وجّه البابا أوربان الثاني في «كليرمون» سنة ١٠٩٥ خطابه إلى الفرنسيين أو «الفرنج» في ذلك الحين، باعتبارهم شعب الله المختار لهذه المهمة، ولهزيمة أعداء الرب في الأرض التي وعد بها أبنائه.

فكرة الاختيار هي أساساً التي جعلت الحركة الصليبية يتوجه بها بابا فرنسي الأصل، هو البابا أوربان الثاني إلى جماهير الفرنج أنفسهم في كليرمون في فرنسا، وهذا ما جعل كل الحوليات العربية والبيزنطية التي تحدثت عن الحروب الصليبية تصف الصليبيين «بالفرنج» على الرغم من أن تركيبة الجيوش الصليبية كانت تجمع تقريباً كل الشعوب الأوروبية في ذلك الحين، وهو ما يعود إلى غلبة العنصر الفرنجي باعتباره شعب الله المختار المنوط به تنفيذ هذه المهمة.

أيضاً، فكرة شعب الله المختار قامت عليها دعاوى الصهيونية الحديثة، وإن كان هناك بعض المفكرين الصهاينة الذين رأوا أن فكرة شعب الله المختار قد تؤثر على ما يدعونه من عالمية وديمقراطية الحركة الصهيونية.. إلخ، ولكن تظل فكرة الاختيار واردة في كلتا الحركتين.

وفكرة الأرض الموعودة، هي فكرة مقترنة بالجو الثقافي العام في أوروبا في القرن الحادي عشر، وهو جو كان يتوقع نهاية العالم في وقت قريب، بعد الألف الأولى من ميلاد السيد المسيح أو رفعه على الصليب، أي سنة ١٠٣٣ أو ١٠٣٤. هذا الجو العام جعل التنبؤات في أوروبا الغربية في ذلك الحين تتوقع نهاية العالم، التي لا بد وأن تكون مقرونة في الفكر المسيحي بانتصار شعب الرب على المسيح الدجال في أرض صهيون أو أرض الميعاد، والأرض التي وعد بها الله الفقراء. لهذا روجت البابوية في دعايتها، سواء في خطب البابا أو في خطب المبعوثين البابويين إلى جميع أنحاء الغرب الأوروبي، لفكرة الأرض الموعودة بها جماهير السائرين على درب الرب. واللافت للنظر أيضاً في هذه النقطة، إن كل الجيوش التي خرجت في أواخر القرن الحادي عشر ابتداء من ١٠٩٦ إلى نهاية القرن وطوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر لم تصف نفسها إطلاقاً، ولم تصفها المصادر التاريخية، بأنها «حركة صليبية»، ولكن المصطلح استخدم فيما بعد - كما هو شأن الدراسات التاريخية - لتوصيف حركة لم يعرفها القائلون بها بالاسم ذاته.

وفكرة الأرض الموعودة هي أيضاً محور أساسي من محاور الحركة الصهيونية. هذا فيما يتعلق بالخطوط العريضة، بصرف النظر عن بعض الاختلافات التفصيلية.

ومن حيث وسائل التنفيذ، الحركة الصليبية في النهاية هي حركة استيطانية عسكرية بالقوة في أرض غريبة ومعادية، ووسط محيط بشري معاد هو المحيط العربي أساساً في هذه المنطقة. وهذه الحركة لم يكن هدفها المعلن هو الهدف الحقيقي. فالهدف المعلن هو استعادة الأرض التي خطا عليها الرب، وتحرير قبر المسيح من أيدي أعداء المسيح، أي المسلمين. أما الهدف الحقيقي، فكان هو رغبة المدن أو الدول التجارية الإيطالية في ذلك الحين مثل البندقية وجنوا وبيزا (والتي انضمت إليها فيما بعد مدن أخرى في إيطاليا وغيرها) في الحصول على امتيازات تجارية للسيطرة على التجارة في حوض المتوسط الشرقي.

وذلك يؤكد أن هذا الصراع الذي اتخذ رداء الدين، كان صراعاً من أجل الاستيطان بالقوة، ولإيجاد مجال حيوي للتوسع لقوى أوروبية، كان الجلد الأوروبي في القرن الحادي عشر قد بدأ يضيق عليها. وذلك الأمر وارد أيضاً في نصوص خطبة البابا أوربان الثاني حيث قال: «انظروا إلى بلادكم فإنها تضيق بين الجبل والبحر، والحقول غير كافية لإعالة سكانها، شحيرة لا تقي. وهناك في فلسطين، في الأرض التي تفيض باللبن والعسل، ستجدون كذا وكذا... إلخ.

أيضاً يلاحظ أن كل المدن التجارية الإيطالية فرضت لنفسها غنيمة تمثلت في الأحياء التجارية بالمدن الساحلية - وغالباً عند الميناء - مثلما كان في عكا أو صور وغيرهما. وبلغت النظرة أيضاً، أن أياً من تلك المدن الإيطالية لم يطلب لنفسه حياً في مدينة بيت المقدس لأنها ليست مدينة تجارية!

إن هذا التبرير الديني والوعود الدينية كوسيلة للاستيطان العسكري وإيجاد رأس جسر ونقطة ارتكاز للتوسع وتحويل المنطقة العربية إلى مجال حيوي للتنفيذ الاقتصادي والسياسي والعسكري.. كان أيضاً هو وسيلة الحركة الصهيونية.. وأترك للمتخصصين الإفاضة في ذلك.

أيضاً، فإن الرغبة الحضارية للكيان الصليبي في المنطقة، مسألة تتأكد في أشياء كثيرة يعرفها الباحثون في التاريخ الاجتماعي للكيان الصليبي ولببلاد الشام في عهد الحروب الصليبية مثل التمسك بأنماط الملابس التي تسمى «الموضة» في الغرب حالياً على الرغم من استخدام الأقمشة الشرقية التي كانت في ذلك الحين أكثر فخامة ورفاهية من الأقمشة الغربية، والتمسك حتى بشكل حلقة الذقن والشوارب في وقت كانت تهتم فيه المنطقة العربية بإطالة الذقون.. إلخ. وتأكيد الانتماء الشكلي إلى حضارة من خارج المنطقة، وعدم وجود أي مدارس أو مؤسسات تعليمية أو ثقافية داخل الكيان الصليبي الذي استمر حوالى قرنين من الزمان. وحتى إن المؤرخ الصليبي وليم الصوري تلقى تعليمه في باريس، في ذلك الحين.

وهناك، أخيراً، مسألة وجود الظهير المساند من الخارج. فقد نجح الصليبيون في سنة ١٠٩٩ في تحقيق غرضهم لأسباب تتعلق أساساً بالتشرذم السياسي العربي: في ذلك الحين، وكان عليهم طوال مائتي سنة أن يدافعوا عن هذا النجاح، حتى استطاع العرب تقليص ذلك الوجود تحت قيادة صلاح الدين، ثم انهاءه تماماً منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس ثم قلاوون ثم الأشرف خليل ابن قلاوون. هنا، من المهم ملاحظة أن سبب نجاح الصليبيين وتوسعهم حتى وصلوا إلى الحدود التي يسميها الباحثون الاسرائيليون المهتمون بالحركة الصليبية «حدوداً آمنة» هو أن العرب طوال ٥٠ عاماً تقريباً كانوا يساعدون العدو ضد بعضهم البعض، وبعضهم أدى مساعدة على نحو مشابه لما يحدث الآن، وأيضاً كانت هناك المساعدة العسكرية من أوروبا الغربية طوال فترة الوجود الصليبي التي ضمنت امداده بالدماء الجديدة اللازمة لإطالة عمره. وبعد سقوط «الرها» في أيدي قوات عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين محمود، جردت أوروبا الغربية الحملة الصليبية الثانية، وبعد نجاح قوات صلاح الدين في استرداد بيت المقدس، وكثير من المدن والحصون الصليبية جردت أوروبا جيشاً كبيراً بزعامة ثلاثة من الرؤوس المتوجة في أوروبا.

○ د. علي الدين هلال: اتفق تماماً مع كل ما قاله د. قاسم، ولكنني أريد أن أضع المشابهات التي أقامها في إطار أكبر وهو: كيف نرى التاريخ؟

في تصوري انه تتنازع الباحث في التاريخ نظرتان، الأولى، تقول إن كل حدث تاريخي هو

حدث فريد لا يتكرر، وإن هناك نوعاً من الصيرورة التاريخية. والنظرة الثانية تقول إن التاريخ ليس مجموعة أحداث تقع عشوائياً ولا رابط بينها، وإن هناك أنماطاً واتجاهات وتوجهات وقواعد عامة، ولا أريد أن أقول قوانين، للظواهر التاريخية. واعتقد أن موقعنا من الظاهرة موضع البحث هو مزيج بين الأمرين. هناك تشابهات كبرى، ولكن أيضاً خصوصيات متعلقة بكل واقعة، وأريد لكي نرى الأمر في سياقه، أن أركز على الخصوصية:

إن أول مفارقة تتعلق بمستوى التكنولوجيا، ففي وقت الحركة الصليبية كان المسلمون والصليبيون على الدرجة نفسها، من التقدم العلمي والتكنولوجي، أي أصبح الفاصل هو الفارق في نمط الحشد وفي نمط التعبئة وفي الروح المعنوية وروح الجهاد. الوضع الراهن يتسم بوجود تفاوت حاسم في ميزان التقدم التكنولوجي والعلمي. هذا يقودنا إلى النقطة التالية وهي ما أسماها د. قاسم «الظهر الأجنبي» أو العلاقة مع الدولة الأم. وهنا تبدو حقيقة أن العلاقة بين الحركة الصهيونية وإسرائيل، وبين الولايات المتحدة الأمريكية تعدت في خصوصيتها، وفي عمق الوشائج التي تتضمنها، حجم ونوع العلاقة المتصورة بين الإمارات الصليبية ودول الظهير في ذلك الوقت.

الفارق الثالث، وفي رأيي أنه حاسم، هو حدوث التجربة الصليبية. أي أن التجربة الصليبية كما أنها معروفة لدينا، فهي معروفة للإسرائيليين، والواقع أن الباحثين الإسرائيليين نقبوا وبحثوا في هذا الموضوع، ربما بقدر ما نقبنا، وبحثوا في هذا الموضوع ربما بقدر ما بحثنا نحن، وربما أكثر. وليس من قبيل المصادفة أن جامعة القدس تنظم مؤتمرات وندوات هذا العام، بتلك المناسبة، كما ننظم نحن، أي أن معرفة إسرائيل والباحثين الإسرائيليين بالواقعة الصليبية في حد ذاتها، تمثل عامل مفارقة وعامل تباين.

أتصور إذا أننا يجب أن نضع عناصر المشابهة التي أوردها د. قاسم في ارتباط مع عوامل التباين أو التمايز التي أوردها، وفي تصوري أن حدود المشابهة هي في القواعد العامة التي تحكم مسار المجتمع الاستيطاني، ولكن ليس في أساليب الحركة أو أنماط السلوك على مستوى الوقائع.

ومن المتصور أن تبشع إسرائيل أساليب جديدة بفعل التباينات التي ذكرتها، ولكن المقارنة مفيدة ومهمة. ويمكن الاستفادة منها على مستوى تطور المجتمعات الاستيطانية عموماً.

تبقى كلمة تحذير، وهي أن إحدى مشاكل العقل العربي الهروب، أي الهرب إلى انتصار تاريخي ما، أو الركون إلى حتمية تاريخية لانتصار الشعوب... إلخ. ولا نريد أن تكون هذه الندوة أو ما تصل إليها من مشابهاة، عاملاً على القعود والركون إلى أن هناك عملية تاريخية سوف تسري بفعل حتمية ما، وأن المال هو إلى انهيار المجتمع الإسرائيلي، وانتصار العرب، كما حدث من قبل، ولا يجب أن نعطي للقارئ العربي مثل هذا الانطباع.

○ د. قاسم عبده قاسم: إن ما حدث في التجربة السابقة، لم يحدث بفعل الحتمية التاريخية، وإنما حدث بفعل إرادة وحركة الناس.

● د. اسامة الغزالي: هل يمكن أن يحدثنا د. قاسم أيضاً عن الإطار الدولي العام الذي أحاط بكلتا الحركتين، خاصة مع التسليم بحيوية الدور الذي لعبه الإطار الدولي في الصراع العربي الإسرائيلي، وإلى أي مدى يمكن إخضاع هذا العنصر لمسألة المشابهة أو عدمها؟

○ د. قاسم عبده قاسم: في تصوري أنه منذ وجدت الحضارة العربية في وقت لاحق على وجود الحضارة الأوروبية، كان لا بد للحضارتين أن تكونا على حال من الصراع والتنافس والاحتكاك والتفاعل، بين بعضهما البعض.

ففي بداية ظهور الحضارة العربية، انتصرت على حساب الأراضي والأقاليم التي كانت تسيطر عليها الحضارة الغربية، وانتزعت الشواطئ الشرقية والجنوبية والغربية أيضاً للبحر المتوسط لحساب الحضارة العربية. وحينما بدأ النمو الأول للحضارة الأوروبية في القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر، كان لا بد من أن نصطدم بأقرب حضارتين لها، وهما الحضارة العربية والحضارة البيزنطية. وفي ظل الصراع بين الحضارتين، وجد الكيان الصليبي كمشروع أوروبي للتوسع على حساب المنطقة العربية. وأتصور أيضاً أنه في ظل محاولة الوطن العربي للتخلص من السيطرة الغربية التي طاللت على أراضيه، وجد المشروع الاسرائيلي لإعاقة هذا النمو. أي يمكن رؤية كلتا الحركتين (الصليبية والصهيونية) في إطار الصراع العام بين الحضارتين الأوروبية والعربية.

● د. أسامة الغزالي: ننتقل الآن إلى السؤال التالي عن إدراك كل من الفكر الإسرائيلي والفكر العربي للمشابهة بين الحركتين، ودلالة هذا الإدراك بالنسبة لكل من النظرة الإسرائيلية والنظرة العربية للتاريخ. فليفضل الأستاذ السيد يسين.

○ ١. السيد يسين: أثار د. قاسم ود. هلال نقاطاً مهمة في موضوع المشابهة بين الحروب الصليبية وبين الغزوة الصهيونية لفلسطين، وهناك مسألة مثارة في الأدبيات التاريخية العلمية تدور حول التساؤل: هل يمكن إدراك الحروب الصليبية في إطار التاريخ الغربي للاستعمار؟ وقد لفت نظري أن المؤرخ الفرنسي المعروف كلود كاهن في كتاب له منشور العام ١٩٨٢ أثار في عجالة، في خاتمة الكتاب هذه القضية، وتساءل عن إمكانية قيام هذه المشابهة وتحدث صراحة عن إشارات بعض الباحثين إلى إسرائيل.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي إلى بعض المراجع وفي مقدمتها كتاب براور The Latin Kingdom of Jerusalem الذي يتحدث عن الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، وذلك على أساس اتجاه بعض الباحثين الغربيين إلى وصف الغزوة الصليبية باعتبارها استعماراً. وقد ناقش وبناء على تعريفه للاستعمار المعاني الدقيقة له، ونفى عن الغزوة الصليبية أنها كانت استعماراً بذلك المعنى.

ولكن ما أريد أن أركز عليه، أنه بغض النظر عن سلامة المشابهة من الناحية العلمية، فالأهم من ذلك أنها تفعل فعلها في الذهن الإسرائيلي وفي الذهن العربي على السواء. وهذا ما يهنا على سبيل القطع وعلينا - كما أكد د. علي بقوة - معرفة حدود هذه المشابهة، وعدم تجاهل الحدود والخصائص الفريدة لكل تجربة.

ولا أريد الدخول في مناقشات منهجية حول التاريخ، وهل هو يقوم على معرفة الجزئيات أو على الكليات - وهي مناقشة شهيرة - ولكن في جميع الأحوال فمما لا شك فيه أنه يمكن استخلاص الخبرة من أي تجربة تاريخية - والحروب الصليبية لا تخرج عن هذه القاعدة.

وقد رجعت - لدى إعداد نفسي لهذه الندوة - إلى كتاب أستاذنا قسطنطين زريق نحن والتاريخ، وسوف أتبنى إطاره العام في إثارة بعض القضايا، وإن كنت لن ألتزم بالمضمون.

الأستاذ زريق يتحدث عن نظرتنا إلى الماضي، ويحاول في إطار هذه النظرة التفرقة بين قراءات أربع : القراءة الأولى، ما يسميه التيار التقليدي، والثانية: التيار القومي، والثالثة: التيار الماركسي، والرابعة: التيار العلمي. وقد حاول، في تصنيفه لهذه التيارات، أن يضع أو يحدّد السمات الأساسية الفارقة بين كل تيار وآخر. وفي رأيه أن التيار التقليدي هو الذي يتحدث عن التاريخ باعتباره تاريخ الأمة الإسلامية، وهو الذي يعلل نشوء الأحداث وتطوراتها تعليلاً إلهياً، ويرده إلى مشيئة الله، وهو الذي في منهجه في إثبات الوقائع يركن إلى أخبار السلف في المقام الأول، وهذه سمات أساسية، واعتقد بأهمية تمييز هذا النمط من القراءة في الوقت الراهن بحكم حركة المد الإسلامي، ومحاولة تسييدها لهذه النظرة للتاريخ وانعكاسها على الحاضر والمستقبل. التيار القومي، في رأي زريق أيضاً، يحاول إعادة بناء وقائع الماضي، وأحياناً ما يكون اتجاهه مثالياً، لمحاولة إعادة بناء الماضي بغير ثغرات أو فجوات تأكيداً لرسالته.

وقد نجد اتجاهها يركز على القومية العربية بالذات، وفي هذه الأحوال يحاول إعطاء صورة مثالية لاتصال أو لاستمرار التيار القومي العربي، وقد نجد تياراً قومياً آخر يركز على القومية السورية أو القومية المصرية وقد ينحاز إلى التاريخ الفرعوني، ولبّ هذا التيار هو الماضي القومي، وقد يؤدي به ذلك في بعض الأحيان إلى إهمال تواريخ الشعوب الأخرى، وعدم إدراك العلاقة بين هذا التاريخ الخاص والتاريخ ككل.

التيار الماركسي يحاول قراءة التاريخ، بناء على موضوعات المادية التاريخية والمادية الجدلية، وقد رأينا في محاولة قراءة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ماركسية عدداً من المحاولات الأساسية مثل أعمال حسين مروة والطيب تيزيني ومحمود إسماعيل. وأخيراً التيار العلمي الذي يحاول، بالرجوع إلى الوثائق، أن يبين الماضي بطريقة علمية، لا نقول محايدة، ولكن تحاول التخلص من التأثيرات الأيديولوجية.

أنا أقرر هذا في الواقع، لأن نظرتنا إلى الماضي يمكن أن تتأثر كثيراً بهذه التيارات المختلفة في قراءة التاريخ، ولكن ما أخشاه في الحديث عن الحروب الصليبية - وهو ما يحدث كثيراً في الوطن العربي - هو اختزالها في واقعة واحدة، هي الانتصار. فكثيراً ما نغفل عن التفاصيل العديدة التي صاحبت التجربة، وكثيراً ما نتجاهل الهزائم المتكررة أو الانتصارات الجزئية أو التحالفات المؤقتة أو اتفاقات الهدنة.. إلى آخره. وهذه نظرة غير علمية، واختزال الحروب الصليبية في واقعة واحدة هي محاولة منا لتجاهل التاريخ الحقيقي للحروب الصليبية، بما فيه من اخفاقات عربية ونجاحات... إلخ. ونستخدم هذا المنهج الاختزالي لمحاولة إدانة بعض التيارات السياسية الراهنة، أو تمجيد بعض التيارات الأخرى، وفي تصوري أن هذا منهج غير علمي.

النقطة الأساسية هنا في قراءتنا للماضي، تتعلق بما يمكن تسميته المفهوم العربي للزمن، والمفهوم الإسرائيلي للزمن.

سئل موشي دايان من قبل - على ما أظن - : الزمن يعمل لصالح من في الصراع الإسرائيلي - العربي؟ فقال: الزمن يعمل في صالح من يجيد استخدامه. وهذه إجابة عقلانية، وهذا رد على اتجاه ينحو أحياناً - كما ذكر د. علي الدين هلال - إلى الركون إلى حتمية تاريخية، وإلى القول وإننا منتصرون بإذن الله في النهاية كما انتصرنا على الصليبيين. هذا المفهوم الميكانيكي أو الميتافيزيقي للزمن، يمكن أن يكون سلبياً جداً، ويمكن أن يكون مبرراً للتقاعس العربي والعجز عن

المواجهة بكل ما لدينا من امكانات وقدرات.

كيف ينظر الإسرائيليون إلى الماضي؟ يمكن القول إن هناك تيارين أساسيين في العقل الإسرائيلي فيما يتعلق بالنظر إلى الماضي. الأول، يمكن أن نسميه بالتيار السلفي الميتافيزيقي، يحاول بناء تاريخ متصل لم ينقطع لليهود عبر الزمان. وهو تيار يتجاهل الانقطاعات التاريخية، ويحاول إثبات أن اليهود لم تنقطع علاقتهم أبداً بأرض الميعاد، وأنه رغم الشتات فقد كان هناك ارتباط عاطفي وحتمي لهذه الأرض، وبالتالي إقامة تاريخ مثالي لما يطلق عليه الشعب اليهودي. أي أن فكرتيه الأساسيتين هما: الاستمرارية التاريخية في علاقة اليهود بأرض الميعاد، وفكرة وحدة الشعب اليهودي، وتجاهل الخلافات الاثنية واللغوية والثقافية المتعددة بين طوائف اليهود المختلفة، سواء أكانوا أشكنازيم أم سفارديم. التيار الثاني هو تيار علمي أو علماني، ينظر للتاريخ اليهودي نظرة علمية، وأحياناً ينظر إليه نظرة نقدية.

ولكن الخلاف الحقيقي بيننا وبين الإسرائيليين، هو أن هناك فُرقة بين الرؤى العربية المختلفة لقراء التاريخ العربي، وكثيراً ما تحدث خلافات أساسية وجوهرية بين ممثلي تلك الرؤى المختلفة حول طريقة المواجهة مع إسرائيل، في حين أنه في إسرائيل يتم التلاقي بين ممثلي التيار الميتافيزيقي والتيار العلماني على هدف واحد، وهذا فارق جوهري. الجناح الديني المتطرف يساعد على صهيونية الدولة وعلى بقاء المشروع الصهيوني وتطويره كما يفعل الجناح العلماني، بغض النظر عن الفروق النظرية والمنهجية بين كلا التيارين، أي هناك - إن صح التعبير - اجماع قومي في إسرائيل على وجود المشروع الإسرائيلي، وعلى شرعيته، بغض النظر عن أسانيد هذه الشرعية. هذا الإجماع قد لا نجد بين التيارات العربية السياسية الفاعلة حول طبيعة المواجهة للدولة الإسرائيلية، ولا حول أساليب هذه المواجهة.

النقطة التالية، والتي اقتبس بعض عناوينها من د. قسطنطين زريق، وإن كنت سأحدث عنها حديثاً مختلفاً، تتعلق بما يتحدث عنه زريق في أربع نقاط، وهي أولاً: وضعنا الحاضر، وثانياً: التاريخ العبء والتاريخ الحافز، وثالثاً: حكمنا في التاريخ. وأخيراً، حكم التاريخ فيما...

اعتقد أن هذه العناوين تصلح للحديث عن دلالة الحروب الصليبية لدى مقارنتها بالغزوة الصهيونية لفلسطين:

فيما يتعلق بوضعنا الحاضر، لعلنا نلاحظ أن هناك خلافاً بدأ يتبلور بين الإسلام كقوة سياسية، وبين التيار القومي العربي. وهذا خلافاً بدأ يتصاعد في الفترة الأخيرة، ويدور حول مسألة الانتماء والهوية.

وربما لم تكن هذه المسألة بارزة في الخمسينات بهذا الشكل، ولكن لا شك أن هناك حديثاً كثيراً في السبعينات والثمانينات حول: هل هناك قطيعة أم تواصل بين المكوّن الإسلامي والمكوّن العربي في الشخصية العربية؟

وإذا كانت هناك خلافات بين المكوّن الإسلامي والمكوّن العربي، فإننا إذا رصدنا الحاضر أيضاً، لدينا مسألة التجزئة والوحدة، ولدينا المخاطر الجسيمة المتعلقة بصعود المشروع القطري على حساب المشروع القومي. هذه الحقائق لا بد أن نتعرف بها، ونحن نرصد ونشخص وضعنا الراهن الذي سيحدّد امكانيات المواجهة الحاسمة مع المشروع الصهيوني. ولا بد أن نتعرف أن

لدينا في الوضع الراهن، سيادة في النظم الديكتاتورية في الوطن العربي على النظم الديمقراطية، بكل ما يحمله ذلك من قهر للجماهير، وابعادها عن المواجهة الحاسمة وترك قرار المواجهة أو عدمها للنخبة الحاكمة التي قد لا تمثل الشعب على سبيل الإطلاق. وهناك شكوك عديدة حول شرعية العديد من النظم السياسية القائمة بالمعنى السياسي الدقيق لكلمة الشرعية. هذه حقيقة أخرى حتى لا نغمس كثيراً في المشابهة بين الحروب الصليبية والغزوة الصهيونية، وننسى الوقائع المريعة الموجودة في الوقت الراهن. لدينا أيضاً مشكلة خاصة، وتساؤلات حول تبديد الرصيد القومي العربي أو ترشيد هذا الرصيد. وأنا أشير في الواقع إلى امكانياتنا المالية والاقتصادية، وحتى إلى امكانياتنا العسكرية. ما مدى الرشادة في استخدام امكانيات الأمة العربية في هذه المرحلة؟ وكما بددنا في العقد الماضي من أموال على أسلحة لم تستخدم ولن تستخدم ضد العدو الاسرائيلي، أو بددناها في مشاريع مظهرية، وفاتت حقبة الثروة النفطية بغير أن توظف ايجابياً في المواجهة. ولدينا أخيراً، في وضعنا الحاضر، ظاهرة ينبغي أن ندرسها بأكبر قدر من الموضوعية، وهي ما نسميها «سلبية الجماهير العربية». الأحداث التي تحدث في لبنان كل يوم، والتي تحدث بين العراق وإيران كل يوم، لا تثير شيئاً لدى الجماهير العربية. أصبحت أحداث لبنان روتيناً يومياً، وأصبح حصار الفلسطينيين في المخيمات روتيناً يومياً. لا بد أن نعترف بذلك. ولا بد أن نقارن بين وضع كانت فيه الجماهير العربية مشاركة بل وضاغطة على صانع القرار في اتجاه معين في الخمسينات والستينات، وبين انسحاب الجماهير من الساحة. لا بد أن نتساءل لماذا حدثت هذه السلبية من الجماهير العربية. هذه مسألة أساسية إذا أردنا أن نتجاوز الوضع الراهن.

بالنسبة لفكرتي التاريخ العبد والتاريخ الحافر، يعني زريق أن هناك بعض المجتمعات ذات التاريخ الطويل، والذي قد يكون حافلاً بالانتصارات والامجاد كثيراً ما يقعد الناس فيها عن العمل ويلوكون هذه الامجاد. التاريخ الحافل قد يكون عبئاً بهذا المعنى، فيمنع الأداء والحركة. ولعلنا نذكر الكتب العديدة التي ألفت في السنوات الأخيرة عن فضل العرب على الحضارات الأوروبية والتغني بالامجاد الماضية، أو محاولة الزعم بأننا منتصرون في النهاية. كل هذه أمثلة على عدم القدرة على تعبئة الخبرة التاريخية في سبيل المشروع الحاضر.

النقطة الثالثة تتعلق - بعبارة زريق - بحكمنا في التاريخ. هو يقصد في الواقع: كيف نقرأ التاريخ المعاصر؟ وهذه مسألة جوهرية في تصوري، لأننا أولاً لا بد أن ننقن قراءة النظام الدولي الراهن بكل ما فيه من تعقيدات. وأنا أشك كثيراً في أن غالبية النظم العربية تجيد قراءة النظام الدولي الراهن، وهي في أحكامها على هذا النظام تقوم على الحدس والتخمين، وأحياناً على أساليب بدائية في اتخاذ القرار. النظام الدولي الراهن يتميز أولاً بالتقدم غير المسبوق في تكنولوجيا السلاح حتى وصلت المسألة إلى حرب النجوم، ويتميز بتعقيد شديد في العلاقات الدولية، ويتميز بالثورة العلمية والتكنولوجية وهي سمة أساسية للقرن الواحد والعشرين. والسباق سيكون رهيباً بين المتخلفين الذين لم يستطيعوا حتى الآن استيعاب تكنولوجيا القرن العشرين، وبين هؤلاء الذين يتعاملون الآن بالفعل مع تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين، كل هذه مسائل أساسية لفهم حقائق التاريخ المعاصر وأحد جوانبه الأساسية، فيما يتعلق بالتقدم التكنولوجي وفيما يتعلق بالسلاح. ولكن أهم من ذلك كيف نقرأ التاريخ الغربي في الوقت الراهن، فيما يتعلق ببناء المجتمعات وجوهر التقدم الغربي.

هذه مسألة أساسية، لأن جوهر التقدم الغربي في تصوري يقوم أساساً على مسألة احترام

حقوق الإنسان. هناك الآن قواعد مرعية في كثير من الدول المتقدمة حول حقوق الإنسان الأساسية، ولكن أهم من ذلك أيضاً مسألة المؤسسات ورسوخها والتقاليد المؤسسية. وهذا ينعكس على أجهزة صنع القرار مباشرة. كل هذه المسائل أساسية ينبغي أن نحاول أن نتأمل في كيفية قراءة التاريخ المعاصر بشأنها.

النقطة الأخيرة الخاصة بحكم التاريخ فينا، واعتقد أن زريق يتحدث هنا ويثير سؤالاً طريفاً في ذاته: كيف ستحكم الأجيال المقبلة على هذا الجيل، وكيف ستقوم موضوعياً إنجازات هذه الأجيال؟

أنا أتصور أنه يمكن وصف التجربة العربية في العقود الماضية أنها قامت على مسألة تفويت الفرصة التاريخية. وتصوري أننا فوّتنا فرصتين: أولاً، ما أسميها فترة المد القومي التي كانت مرشحة أساساً لتعبئة الجهود العربية لمواجهة حاسمة مع إسرائيل. ولا أقصد المواجهة العسكرية التي تقضي عليها بضربة واحدة، وإنما أقصد بناء القاعدة الموضوعية الأساسية الصناعية والتكنولوجية والعسكرية التي تسمح بالتصدي للدولة الإسرائيلية.

والفرصة الثانية التي فاتت هي ما أسميها فترة الحقبة النفطية، بكل ما حفلت به من امكانيات مالية للبلدان العربية. ويبقى أن نتأمل في الحقبة القادمة ونتساءل: ما الذي تستطيع البلدان العربية أن تنجزه فيها، ونحن نشاهد في الوقت الراهن خلافات شتى حول تشخيص المشروع الصهيوني، وحول أساليب مواجهته.

في ختام كلامي، أحب أن أؤكد المعنى الذي بدأت به، وهو أن قضية الزمن تعمل بشكل مختلف في كلا المجتمعين العربي والإسرائيلي. الزمن يستخدم استخداماً وظيفياً منتجاً في المجتمع الإسرائيلي، بغض النظر عن عدوانية المشروع الصهيوني. فهناك إدراك حقيقي للبعد الزمني في صياغة الاستراتيجيات، وفي رسم خطط المواجهة، وفي النظرة المستقبلية لظروف المواجهة العربية الإسرائيلية. وليس بعيداً عن ذاكرتنا التقدير المستقبلي الذي أجراه مدير المخابرات الإسرائيلية في وثيقة نشرت أخيراً حول توقعاته المستقبلية للنظم العربية في العقود القادمة. ومعنى ذلك أنه يحاول بناء على استقرار واقعي - قد يكون موضوعياً أو ذاتياً - استخدام المنهج المستقبلي لرسم الخطط السياسية والاقتصادية والتكنولوجية لمواجهة الوطن العربي. ويبقى أن نتساءل: هل استطعنا في الوطن العربي تبني المنهج المستقبلي في محاولة التنبؤ بمسار الصراع والاستعداد للجولات القادمة؟

● د. اسامة الغزالي: أريد هنا أن أعود لما ذكره الأستاذ السيد يسين - في سياق الحديث عن رؤية الاسرائيليين للمواجهة العربية الصليبية - عن الرغبة في إثبات عدم انقطاع صلة اليهود بأرض الميعاد، ووحدة الشعب اليهودي. ربما يستطيع د. قاسم أن يلقي الضوء على هذه الجزئية بالتحديد.

○ د. علي الدين هلال: اسمحوا لي - قبل إجابة د. قاسم عن هذا التساؤل - أن أقول إننا عندما نتحدث عن كيفية رؤية الفكر الإسرائيلي والفكر العربي للحروب الصليبية، فإن المقصود ليس مجرد فهم مجموعة من أساتذة التاريخ في جامعة القدس أو في جامعة القاهرة للظاهرة، وإنما المقصود هو الوعي السياسي الإسرائيلي والوعي السياسي العربي كما نجده في خطاب سياسية لبن

غوريون وموشي وشاريت وغولدا مائير، أو في خطب سياسية لجمال عبدالناصر وحافظ الأسد وصدام حسين، وفي برامج الأحزاب السياسية. فليس المقصود هنا الخلافات الأكاديمية أو الفنية بين مجموعات المؤرخين، وإنما هو إلى أي مدى - في مواجهة إسرائيل - نحن (ونحن هنا معناها جمهور الشعب) معاًون ومؤهلون بنظرة ما لتلك المواجهة؟ وإلى أي مدى تمثل المقارنة بين الاسرائيليين والصليبيين جزءاً من الوعي الجماعي العربي؛ وأنا رأيي أن تلك هي النقطة التي تحتاج إلى أن نركز عليها.

○ د. قاسم عبده قاسم: هذا الكلام للدكتور علي مهم للغاية، وفي الواقع فإن ذلك ما كنت سأحدث عنه، وليس عن مناهج المؤرخين. المسألة الأساسية هنا أن نظرة الإسرائيليين للتاريخ - سواء لتاريخ الحركة الصليبية أو للتاريخ عموماً - نظرة تقترب كثيراً من الرؤية العلمية الصحيحة والرؤية السياسية الواعية للتاريخ، وهذا أمر يجب أن نعترف به. فصحيح أن التاريخ موضوعه هو الماضي، ولكنه يتصل بالحاضر والمستقبل. هو علم يوظف لخدمة الحاضر والمستقبل، وليس علماً للتسلية. تفضل الأستاذ يسين بالإشارة إلى ما كتبه كلود كاهن في كتابه الأخير، وأشار أيضاً إلى كتاب يوشع براور: The Latin Kingdom of Jerusalem ويوشع براور أشهر مؤرخ إسرائيلي تعرض لتاريخ الحركة الصليبية، وربما أشهر مؤرخ في العالم حالياً بعد رينسمان في تاريخ الحركة الصليبية، وهو أيضاً من أساتذة الاستيطان الإسرائيلي. لكن هنا الفارق بين مؤرخ يملك أدوات البحث العلمي، ويملك الوعي السياسي بأهمية البحث العلمي في مجال التاريخ، وبين مؤرخين هم مجرد جامعين لأوراق عن طريق القص واللصق لا غير، أو مؤرخين يدغدغون الحواس القومية أو حتى حواسهم الذاتية ويهناؤون بأن أسلافهم قد صنعوا التاريخ، وصنعوا الأمجاد دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في كيفية صنع هذه الأمجاد. وبالفعل فإن مواجهة الحركة الصليبية لم تكن مجرد انتصار - كما تفضل وذكر الأستاذ يسين - تختزل فيه النتيجة النهائية، ولكنها كانت معاناة على مدى جيلين، وكان على المنطقة العربية أن توجه كل مواردها على كل المستويات لخوض هذا الصراع الذي كان بالفعل صراع وجود، وتثبت التجربة أنه لا بد من توفير كل الامكانيات، ولا بد من العمل الايجابي، لأن التاريخ لا تصنعه الصدفة، وإنما يصنعه جهد الناس. وللأسف الشديد، فإن الوعي بالحركة الصليبية على المستوى العام في الوطن العربي، منخفض الى درجة تقرب من الصفر، بل اني لا اتجنى إذا قلت إن الوعي بأهمية دراسة الحركة الصليبية من منظور سياسي يخدم الحاضر والمستقبل في أوساط المؤرخين، يكاد يقترب أيضاً من الصفر. ولكن كتاب يوشع براور، على سبيل المثال، يمثل دراسة لمصير الكيان الصليبي: الاستيطان، وأسباب الفشل. ومن اللافت للنظر أن يوشع براور يبدأ كتابه بسفر في العهد القديم، وهو الآية التي تعني أن الرب وعد يعقوب، وقال له هذه الأرض تعود إليها أنت وبنوك... كذا وكذا... إلخ. ثم يناقش جميع الجوانب في مصطلحات حديثة، مثل الحدود الآمنة والردع العسكري والمستوطنات، والقوات خفيفة الحركة، والمحيط البشري المعادي والظهير المساند.. وأهمية الجذور وعدم الغربة الحضارية، وأهمية توطين الصليبيين توطيناً حقيقياً في الوسط الديمغرافي، وأهم من هذا هو ما أشار إليه الأستاذ سيد يسين من محاولة اختلاق استمرارية للوجود اليهودي. ولقد تحدث يوشع براور عن الغزو الصليبي كاستعمار أوروبي وكنوع من العدوان وقع على اليهود في فلسطين، وهذا غير حقيقي تاريخياً. وهنا - وعند الرد على تساؤل د. الغزالي عن دور اليهود في مواجهة الحركة الصليبية - إذا كان الدور السلبي يعد دوراً، فهذا هو كل دورهم. حين خرجت قوات الحملة الصليبية، وبالذات الحملة الأولى، لأسباب كثيرة شاع أنه إذا كانت الحملة قد خرجت لمحاربة أعداء المسيح الذين

يضطهدون المسيحيين وهم المسلمون، فأولى بنا أن نطهر البيت من الداخل، من الذين اضطهدوا المسيح نفسه، أي اليهود في حوض الراين، وكان هؤلاء أصحاب أموال كثيرة وأقرضوا أبناء المجتمع الاقطاعي بفوائد باهظة تزيد عن ٥٠ بالمائة، ولأسباب كثيرة اجتماعية واقتصادية تحولت جماهير الغوغاء التي كونت الطلائع الأولى فيما عرف باسم الحملة الشعبية ضد اليهود في وادي الراين واحدثوا بهم مذابح ضخمة، بل إن جيوش الأمراء أيضاً ابتزت اليهود للحصول منهم على بعض الاموال الذهبية. وحين وصلت القوات إلى فلسطين كان هناك حي يهودي في القدس يعيش فيه اليهود، كما عاشوا في جميع أنحاء المنطقة العربية، وقامت قوات الصليبيين بارتكاب مذبحة تحدثت عنها كل المصادر، ضد السكان العرب أساساً الذين يميزهم اللباس العربي سواء من المسلمين أو المسيحيين واليهود. قالوا إن المدينة التي شهدت آلام المسيح، لا يجب أن تشاهد أو تحوي بين جدرانها من عذبوا المسيح أو من عذبوا اتباعه، ويقصدون بذلك اليهود والمسلمين. ولم يكن لليهود دور في مواجهة الصليبيين، وذلك ببساطة شديدة لأنهم كانوا في ظل دولة عاملتهم باعتبارهم «أهل ذمة» لا يجوز لهم حمل السلاح. والحرب كانت مهنة تتطلب التفرغ الكامل، لأنها كانت مهنة في ذلك الحين تعتمد على اللياقة البدنية والمهارات القتالية التي تتطلب تفرغاً طوال الحياة. وحتى جماهير الناس العادية في ذلك الحين، لم تكن تدخل الجيوش وإنما كانت تقوم بدور سلاح التموين والإمداد... إلخ. وفي حدود معرفتي وردود فعلي إزاء كتابات بعض الباحثين الاسرائيليين وعلى رأسهم يوشع براور الذين تحدثوا عن دور يهودي، بدأت أفتش مرة أخرى عن الوثائق، فلم أجد إطلاقاً لا في حولية ولا في وثيقة أو مصدر عربي أو بيزنطي أو سرياني أو أوروبي أو لاتيني ما يؤكد أنه كان لهم دور.

إذا لماذا هذه المسألة؟ في تصوري أن ذلك تنفيذ لمقولة هرتزل بضرورة استخدام التاريخ إلى جانب الفن لتغيير صورة اليهودي، ومحاولة انتحال دور على حساب الشعوب العربية، وسرقة التاريخ العربي من خلال المحاولات المستمرة حتى الآن، وسرقة التراث وسرقة الآثار... إلى جانب سرقة الأرض، لتأكيد وجود يهودي مستمر في المنطقة، ودور مستمر لما يسمى بالشعب اليهودي، وتلك خرافة تدحضها كل الأسانيد العلمية - كما ذكر الأستاذ يسين.

وعيب النظرة العربية للتاريخ أنها تستكين بالفعل إلى ما أسماه زريق بالتاريخ العبد، لكن المفروض أن نخرج من دراستنا للحركة الصليبية بأن القضاء على هذا الخطر المصدر إلينا من الخارج، لم يتم سوى بحدود دنيا من وحدة العمل وبتكريس كل موارد المنطقة العربية تحت قيادة تعمل في اتجاه واحد لمحاصرة هذا المشروع الاستيطاني الذي يتكرر اليوم، بشكل وعي التجربة التاريخية، وزاد عليها، واستفاد من انجازات الحضارة البشرية في القرن العشرين. الرؤية الإسرائيلية تعي أن للتاريخ دوراً حضارياً في تقدم المجتمع، وتحاول أن تستفيد منه بشكل عام، وليس في تاريخ الحركة الصليبية فقط.

● د. أسامة الغزالي: هل يفهم من هذا أن ذلك الادراك لدور اليهود في مواجهة الحملة الصليبية، مقصور على الباحثين التاريخيين أم هو شائع لدى اليهود بشكل عام؟

○ د. قاسم عبده قاسم: هو ادراك شائع، ولا يقف الأمر عند حدود الكتابات الأكاديمية، بل صيغت روايات من نوع الروايات التاريخية التي تتحدث عن وقائع معينة في إطار رومانسي، وقد شاعت هذه الروايات كما شاعت في مجتمعنا منذ فترة روايات جورجي زيدان مثلاً. ومن خلال

الروايات وتغليف التاريخ بالخيال، زرعت مفاهيم كثيرة حول دور اليهود واستمرارهم وبطولاتهم وعناصر التضحية.. الخ، لدرجة أن كتابات كثيرة أكاديمية أو صحفية تتحدث عن «الهولوكوست» الأول أي مذابح اليهود إبان الحركة الصليبية، كمقدمة «الهولوكوست» الذي تم أيام النازي، مع أن الظاهرة الأولى كانت لها ظروف وملابسات مختلفة تماماً عن الظروف والملابسات التي وقعت في النصف الأول للقرن العشرين، وذلك دور تلعبه الحركة الصهيونية بذلك.

○ ١. السيد يسين: اعتقد أنه يجب أن نركز على الحقيقة التي ذكرها د. قاسم، وهي أن الوعي العام أو القراءة السياسية للحروب الصليبية ليست موجودة في الوطن العربي لا على مستوى الرأي العام ولا على مستوى الصفوة المتخصصة. هذه حقيقة مرة ينبغي أن نقف عندها طويلاً، على أساس أن المؤرخين الاسرائيليين يقومون بالقراءة السياسية للحوادث الماضية، أحياناً بغرض تشويهها وتقديم اتساق ايديولوجي للمشروع الصهيوني، على عكس الحال في الوطن العربي، حيث لا بد أن نقرب بأن جهود الصفوة المفكرة في تجميع الجهد القومي للمواجهة لم تكن تؤخذ على سبيل الجد في كثير من الأحيان نتيجة للحرب التي شنتها النخبة الحاكمة العربية، وعلاقاتها المعقدة مع المثقفين. والقرار الخاص بالمواجهة، في كثير من الأحيان، لم يكن يأخذ في اعتباره الجهود الفكرية للمثقفين، إضافة إلى الافتقار إلى منهاج القراءة السياسية للتاريخ بغرض استخلاص دلالاته. هذه المسألة أساسية. وفي كثير من الأحيان، نجد الدراسات التاريخية العربية دراسات جزئية أو تكتيكية، وتقوم على الوثائق وتحقيقتها، من دون النظرة الشاملة التفسيرية لحدث ما، أو وضعه في إطار التاريخ القومي العام.

○ د. علي الدين هلال: أستطيع أن أوجز ما ذكره د. قاسم فيما يتعلق بالنظرة الاسرائيلية في أمرين يتعلقان باسهام علم التاريخ في المشروع الصهيوني. الأمر الأول: هو مواجهة الصورة النمطية عن اليهودي كإنسان غير مقاتل. ففي الكتابات الغربية وفي كتب التاريخ بشكل عام، الصورة هي أن اليهودي تاجر أو أن اليهودي يعمل بجمع المال. المؤرخ الاسرائيلي أراد في إطار الدولة التي يريد أن يبينها، أو المجتمع الاحتلالي الذي يريد أن يدعمه أن يغير صورة اليهودي كمقاتل، أيضاً استخدام العلاقة مع الرومان وكل الأساطير التي بنيت حول (الماسادا) وتفسيرها كصورة للبطولة.. الخ. إذاً، هناك خط في التاريخ الاسرائيلي وهو طرح اليهودي كمقاتل. ثانياً: الاصرار على الأرض، أي أنهم يدافعون عن أرض فلسطين منذ أزمان بعيدة، وأنه عندما جاء اناس من أوروبا لاحتلالها قاموا بدورهم في الدفاع عن هذه الأرض، مما أيضاً يعطي شرعية البقاء والاستيطان. وهذا يعكس ما يمكن أن نسميه «التاريخ كجزء من المشروع القومي» وحيث يندرج علماء التاريخ في مشروع سياسي ما، ويوظفون معارفهم في هذا السياق.

والسؤال هنا: لماذا لم يحدث ذلك في الوطن العربي؟

وربما يجب أن نحترز بعض الشيء في هذا. فأولاً، هل صحيح أن المؤرخين العرب، والمؤرخين السياسيين منهم بالذات، لم ينتبهوا لهذا؟ ثم، إذا كانت الاجابة نعم.. فلماذا حدث ذلك؟ أول ما يتبادر إلى ذهني هنا، أن الشعور بالغزوة الصليبية لا يشترك فيه كل العرب، فإخواننا في الخليج وإخواننا في ليبيا غرباً.. وإخواننا في السودان، ربما لا يشكل موضوع الحروب الصليبية جزءاً من تكوينهم التاريخي، بالقدر الحادث في مصر والشام، ولا يمثل بالتالي جزءاً من الذاكرة الجمعية كما هو في مصر والشام.

○ د. قاسم عبده قاسم: ولكن هذا لا يسري مثلاً على المغاربة، بسبب الحملات التي قام بها لويس التاسع على تونس، والحملات الفرعية الأخرى على بلاد المغرب العربي.

○ د. علي الدين هلال: بالنسبة للسؤال عن عدم اهتمام المؤرخين في مصر والشام، هنا أتساءل - وسؤالي هذا موجه بشكل خاص للدكتور الدجاني ويتعلق بالذات بالمفكر القومي الأستاذ ساطع الحصري، الذي يمكن أن نعهده «أب» الفكر القومي، والمؤرخ القومي الوحيد الذي تصدى لبناء مفهوم متكامل عن القومية العربية - إلى أي مدى دخل موضوع الحروب الصليبية ضمن تفكيره؟ ويمكن طرح السؤال نفسه بالنسبة للأستاذ ميشيل عفلق، وهكذا بالنسبة لغيرهما من المفكرين القوميين الكبار.. فإذا كان ساطع الحصري قد تحدث في ذلك الموضوع، فإن ذلك سوف يعني أن هناك قطاعات عريضة من العرب تأثروا به.. والأمر أيضاً يسري على الأستاذ ميشيل عفلق وهكذا.

على أنني أتذكر جيداً أن الرئيس جمال عبد الناصر تحدث كثيراً عن هذا الموضوع، وعندما كان يتحدث عن القضية الفلسطينية، كان يطرح معنيين: الأول، إن الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع حضاري، وكان عندما يقوم بافتتاح مصنع أو بتدشين مشروع أو عمل اجتماعي غالباً ما يذكر أن ذلك جزء من المواجهة مع اسرائيل، وأن التحدي هو بناء مجتمع قوي يواجه اسرائيل، أي أن المعركة مع اسرائيل معركة متداخلة، تدخل فيها الصناعة والزراعة والاقتصاد.. الخ، وليست مجرد معركة عسكرية.

المعنى الثاني، هو حتمية الانتصار، وأنه مثلما استمر الصليبيون فترة طويلة، فإن مآل اسرائيل سوف يكون مآلهم نفسه.

● د. أسامة الغزالي: إذأ، ننتقل إلى السؤال الثالث عن العامل الحاسم في الانتصار العربي على الصليبيين، في إطار مجمل العوامل التي أدت إلى ذلك الانتصار.

○ د. أحمد صدقي الدجاني: في اجابتنا عن هذا السؤال، نستطيع أن نقول إن العامل الحاسم في الانتصار العربي الاسلامي على الغزاة الصليبيين هو «توطين النفس على متابعة الجهاد في صراع النفس الطويل، من خلال وعي بالذات وتمثل الهوية في مختلف دوائر انتمائها، ومن خلال ادراك حقيقة العدو وأهدافه، وبفعل حركة احياء روحي في المجتمع، وبروز قيادتين: فكرية وسياسية، تلاحمتا معاً، فوحدتا جميع طوائف المجتمع وأفراده فانطلقت طاقاتهم».

سأحاول بإيجاز شديد أن أفسر هذه الاجابة، بتناول عناصرها عنصراً عنصراً:

العنصر الأول: أنت أمام صراع نفسي طويل امتد على مدى قرنين من الزمن تقريباً، تتابعت فيهما المراحل، وفي خضم هذا الصراع الطويل تحول المجتمع العربي - الاسلامي الى مجتمع جهاد، وكان الامارات المختلفة آنذاك تحولت إلى إمارات جهاد.

والشواهد على ذلك كثيرة، استذكر منها ما قاله «محمد كردعلي» في دراسته القيمة التي تناولت هذه الحروب، حيث يشير إلى أن المجتمع عني عناية فائقة بفنون الحرب التي عرفت أيامها، فاستكثروا من السلاح والعدة والخيل والمنجنيقات والدبابات، واخترعوا أشياء في هذا الباب أدهشت الفرنجة وبخاصة يوم حصار عكا.

واستشهد بعصارة الدراسة التي قام بها د. سعيد عاشور حول المجتمع العربي الاسلامي

في بلاد الشام إبان هذه الحروب، فهذا المجتمع احتفظ طوال القرنين بأصوله وتقاليده ومثله على عكس الفرنجة - حسب رأي المؤرخ «فوشيه» - والاحظ من خلال دراسة سعيد عاشور أن المجتمع وطّن نفسه على الجهاد والحرب، ولم يعن هذا أبداً أن يتوقف عن ممارسة أي شيء من فنون الحياة الجميلة؛ كانت الأفراح تقام، وكان الناس يخرجون إلى المنتزهات، وكانت الحمامات عامرة، وكانت الأسواق كأعظم ماتكون، وازدهرت التجارة أيما ازدهار، ولكن كل ذلك حُكِمَ بهدف واحد، هو متابعة الجهاد. أشرنا إلى تمثل الهوية في كلمة سعيد عاشور في عصارة دراسته، والهوية في مختلف دواثرها: كان هناك وعي عربي إلى آخر مدى، وكان هناك وعي إسلامي إلى آخر مدى ولم يحدث التصادم أبداً بين الدائرتين، وكان هناك وعي حضاري إلى آخر مدى شارك فيه الأخوة النصاري. والحق أن دراسة سعيد عاشور ذكرت عشرين طائفة كانت موجودة في بلاد الشام، ولكن كل هذه الطوائف شاركت في وقت الانطلاق والاحياء والصحو في مواجهة العدو.

نركز على دور العقيدة لأنه في مثل هذه الحروب، لا بد من بروز هذا الدور، ونستشهد بأمثلة كثيرة من بينها شاعر عاش القرن الأول وهو «ابن القيسراني» - وقد تصدى لدراسته أكثر من باحث في رسائل جامعية في الدراسات العليا - نقرأ شعر هذا الشاعر الذي ولد في عكا، وظل فيها حتى سن التاسعة عشرة حينما سقطت، فنجد أنه ليس حديث حزن وبكاء، وإنما الحديث حديث جهاد يستمد طاقاته القوية من خلال العقيدة.

نقرأ ما كتبه العماد الأصفهاني، وما كتبه القاضي ابن شداد فنلاحظ ذلك، ولكننا نراها كأحلى ما تكون وكأعظم ما تكون في صدورهم عن القيادات السياسية، وبخاصة - كمثال من الأمثلة - تلك الرسالة التي وجهها صلاح الدين، وكانت بمثابة وصية له وقد تركها لابنه الظاهر قبل موته، ولم يجدوا في خزانته الخاصة بعد موته إلا ديناراً واحداً. يقول في الرسالة.. «أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنها رأس كل خير، وأمر بما أمر الله به، فإنه سبب نجاتك. واحذر من الدماء والدخول فيها والتقلد بها، فإن الدم لا ينال. وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم فأنت أمين، وأمين الله عليهم. وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت ما بلغت إلا بمداواة الناس. ولا تحقد على أحد، فإن الكون لا يبقى لأحد، ولا يبقى على أحد. واحذر ما بينك وبين الناس، فإنه لا يغفر إلا برضاهم. وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه، فإنه كريم، هذا نموذج من نماذج كثيرة تصور مفعول العقيدة.

ونرى هذا في عصارة كتاب الاعتبار الذي كتبه أسامة بن منقذ، بعد أن جاوز الخامسة والثمانين من العمر.

وأصل من بين هذه العناصر، إلى أهم عنصرين جمعا العناصر السابقة وهما: بروز القيادة الفكرية، والقيادة السياسية، وتلاحمهما معاً. وهنا لا بد أن نميز في تجربة حروب الفرنجة بين مرحلتين: مرحلة النكبة والهزيمة، ومرحلة الاحياء والصحو. والبروز بدا جلياً بعد حدوث النكبة وحدث الهزيمة.

لقد كتب الغزالي إمامنا العظيم - رحمه الله - إحياء علوم الدين بعد بداية هذه المرحلة. وقد يقول البعض انه لم يتطرق فيه إلى الجهاد، ولكن مجمل الاحياء يصل إلى بناء فرد ينطلق في طريق الجهاد. القيادات الفكرية استمرت في الظهور، وكما تأثرت وأنا أراجع بعض ما كتب خلال تلك الفترة: لنقرأ ابن شداد، نرى قيادة فكرية واعية حرص صلاح الدين حين رآه أن يرجوه أن يكون إلى جانبه، وبقي إلى جانبه السنوات الخمس الأخيرة من حياته. نقف عند القاضي الفاضل واسمه «عبد الرحيم البيساني» أي من بيسان، نشأ هناك ثم جاء إلى مصر وقام بدوره الفكري في

عهد الفاطميين، ثم انتقل إلى متابعة دوره في عهد الأيوبيين. يكفي أن نقول شهادة صلاح الدين في هذه القيادة الفكرية، حيث قال مخاطباً الجمع كله الذي كان يحيط به جنوداً، ورعية، وقيادات، «لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيفكم بل بقلم الفاضل» والفاضل كتب يومياته كاملة، ولكن للأسف ضاعت كلها، ولم يبق منها إلا شذرات. نقرأ ما كتبه العماد الأصفهاني، فنرى وعياً بالتاريخ، ونرى قلماً سيالاً، ونرى قدرة على تعبئة الناس.

تتالت هذه القيادات بعد عهد صلاح الدين، ففي عهد قطز كان العزيز بن عبد السلام، وفي عهد بيبرس كان هناك عشرات في مصر من العلماء ومن الأطباء وكلهم قاموا بدورهم. القيادة الفكرية نجحت في تعبئة الناس، ويلاحظ كرد علي وسعيد عاشور، وكل من درس تلك الفترة، أن الحكام حرصوا على الالتحام بهذه القيادات الفكرية في فترة الصحوة بالطبع.

نأتي إلى القيادات السياسية، فنرى سلسلة من الحلقات الذهبية بدأت بعماد الدين ثم بابنة نور الدين ثم بأسرة أيوب، أيوب وأخوه أسد الدين شريكوه وابن أيوب يوسف صلاح الدين، ثم أولاد صلاح الدين من الظاهر إلى العادل إلى الكامل ثم قطز - وكان شخصية كبيرة - ثم بيبرس وصولاً إلى قلاوون الذي أنهى حروب الفرنجة بتحرير «عكا» في عام ١٢٩٠. سنلاحظ أن هذه القيادات أدركت جيداً كيف تكون المواجهة، ووظفت جيداً حقيقة المكان ووعت قدراتها وذاتيتها، ووعت قدرة العدو وجوانب ضعفه، ولتأخذ أمثلة على ذلك: ما حصل للويس في دمياط وفي المنصورة وكيف تعامل صلاح الدين مع هؤلاء جميعاً. ومن قبله نور الدين. لنرى كيف تحرك بيبرس في عين جالوت، حيث جاء المغل في الفترة الأخيرة من حروب الفرنجة، ثم كيف أخذ بعد عين جالوت حصن الأكراد.

نحن إذاً أمام سلسلة من الحلقات المضيئة من القيادات التي وطنت نفسها على صراع النفس الطويل، وعلى متابعة الجهاد.

من خلال هذا، بوجود القيادة الفكرية والقيادة السياسية، حصلت وحدة المجتمع. وحين نحكي عن الوحدة، فإن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك شذوذ، ولكننا نحكي عن الصورة الغالبة. والحق أن محمد كرد علي لاحظ إلى أي مدى ساد حديث الوحدة في تلك الفترة، حيث علمت الحرب المسلمين أنه لا حياة لهم إلا باتحاد الكلمة، ولقنتهم معنى «الجامعة الدينية» و«الجامعة العصبية القومية» وكلتاها معاً. وحقيقة، لم تأخذ الناس ولا قادتهم هوادة فيمن كانوا يفتون في ع ضد المجتمع ويتهمون بأن هواهم مع الفرنجة، هناك أم هي الخاتون صفوة الملك علمت أن ابنها شمس الملوك اتفق مع الفرنجة، فما ترددت وأمرت بقتله، لأن الأمر هنا لا يحتمل، ولما شعر صاحب دمشق في عام ٥٢٣ هـ أن الباطنية بدأوا يتحركون ضمن اتفاق معين مع الفرنجة أمر بقتل وزيره، وكان على صلة بهم. والمجتمع كله هب للقضاء على ذلك التحرك. المجتمع إذاً حدد هدفه وصبر عليه.

نلاحظ هنا أن القيادة السياسية اتقنت الجمع بين متطلبات الحرب ومتطلبات الدبلوماسية، وشهادة المؤرخين في العالم أجمع أنها قدمت نموذجاً خالداً، ولم تقابل الآثام بمثلها. وفي موضوع حروب الفرنجة لا ننسى المجازر التي اقترفت في القسطنطينية وضد اليهود في أوروبا وقبل أن تصل إلى منطقتنا، وفي بلادنا: في انطاكية وفي معرة النعمان والقدس وغزة ويافا وعكا. ولكن صلاح الدين طرح نموذجاً أعلى لمفهوم الحرب والسلم، هذا المفهوم الذي شرحه الشيباني في كتابه العظيم عن

العلاقات الدولية، وعديد من الكتاب الغربيين تحدثوا عن هذا، والمؤرخون العرب المحدثون وقفوا أمام هذا النموذج.

بقي العنصر الأخير الذي أشير إليه، وهو أن مجمل هذه العناصر أطلق طاقات المجتمع وطاقات الأفراد فحصل الابداع. والحق أننا نقف أمام نموذج علي بن شيخ النحاسين في دمشق الذي جاء وفي رأسه أمر رئيسي واحد: أن يسهم في إسقاط عكا.. كيف؟ بالقضاء على الأبراج التي بناها الفرنجة والتي كانت مستعصية. وطوال عمليات كيميائية متصلة، وصل إلى المعادلة التي يذكرها لنا الأصفهاني، ونجح في القضاء على الأبراج.

نذكر ما يشير إليه ابن شداد والأصفهاني عن «العُوام» وهم بمثابة «الضفادع البشرية» الذين كانوا ينزلون تحت الماء، وقد تفننوا في اختراق الحصار والحصون. إذا كان هناك ابداع، وتحولت الصناعة العسكرية إلى صناعة متقدمة للغاية. حدث هذا في مدى زمني ليس بالقصير.

وعلينا إذا أن نلاحظ حين نحكي عن حروب الفرنجة - كما تفضل وذكر الزملاء الأفاضل - المراحل المختلفة. فمثلاً حين نقف عند صلاح الدين نميز بين خمس سنوات تمثل المرحلة المصرية، وبين اثنتي عشرة سنة تلتها تمثل المرحلة الشامية، وبين السنوات السبع الأخيرة التي يمكن أن تميزها المرحلة الفلسطينية والتي بلغت ذروتها بعد حطين. في كل مرحلة، قام صلاح الدين بانجاز متطلباتها. ففي مصر رتب القاعدة ثم حقق الوحدة مع بلاد الشام، مجموعة خطوات أنجزت، وهي صعبة عندما ندخل في التفاصيل، ثم إذا به يتحول تماماً إلى الحرب. وحتى جاءه القاضي بن شداد وعاش في بلاطه، كان البلاط مجموعة قيم. وما أروع القاضي بن شداد وهو يسجل اليوميات: حطين، وما حصل بعدها.

بعد هذا، يمكننا أن نأتي لموضوع المشابهة، وهنا أبدأ بالتساؤل: لماذا نثير حديث حروب الفرنجة؟ الاجابة ترتبط بالحاجة الانسانية للوقوف أمام سنن الحياة، ولاستخلاص العبرة، وليس غريباً أن يكتب ذلك الفارس العظيم أسامة بن منقذ كتابه الاعتبار وهو يبحث عن العبرة. وبالنسبة، العبرة التي يصل إليها: «لا يؤخر الأجل الاحجام، ولا يقدمه الاقدام». والسنن في الحياة الانسانية تحكمها عوامل الزمان والمكان وتفاعلهما. حقيقة، في نطاق الزمان كل ما يجري في الاجتماع الانساني، وفي نطاق المكان الأرض نفسها. ضمن هذه الحدود، تأتي المقارنات والمشابهات.

انتقل هنا راساً إلى نقطة جديدة بالذكر، من واقع السؤال الذي طرحه د. الغزالي حول الاطار الدولي، وحول المشابهة. ونحن نقرأ العماد الاصفهاني، نلاحظ في المقدمة لكتابه الفتح القسي في الفتح القدسي أنه أول من يقف أمام المشابهة والمقابلة فيقارن هذا الفتح بالفتح الأول الاسلامي، ويرى فيه هجرة ثانية، وأرجو أن نقف أمام المقارنة، فيقول: «الفرق بين فتوح الشام في هذا العصر، وبين فتوحه في أول الامر، فرق يتبين تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر». وهو يرجع الفتح الثاني بالمناسبة، وليس هذا غريباً، لأنه عاشه وكان عليه أن يعبئ الناس. ففي الفتوح الأول «الروم حينئذ بغاث ما استنسر، والفارس يومئذ رخم ما استبصر والحديد ما تنوعت اشكاله الرائعة، ولا طبعته سيوفه هذه القاطعة، ولا نسجت ثيابه هذه اللامعة، والبروج تعرف مشيدة لا مجلدة، والمنجنيقات لا يتوسم ما يتوسم اليوم من خشبها المسندة، والاقتران.. والاسوار... الخ مقارنة طويلة. وهو يقول في الفتوح الثانية واصفاً الحال قبل مجيء صلاح الدين: «والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً، هو

يلاحظ القوة الحضارية والكفار قد خشنت عزائمهم واتسقت ممالكهم... «واستبصروا في الضلال وقتلوا جندا ورعية». ويشير إلى عامل بالغ الأهمية كان سائداً في المجتمع العربي - الاسلامي وهو أن الناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة. والغدر على كل لسان، لكل قوم مدة. هناك عجز.. ويستشهد بالبيت:

إذا عجزوا قالوا مقادير قدرت وما العجز إلا ما تجر المقادر

ومع ذلك حصل ما حصل من انطلاق، وهنا العظمة. إذاً المقارنة حدثت في وعي مؤرخي ذلك الزمان. وكما تأثرت وأنا أعود إلى رايه في التاريخ، وعودته إلى تاريخ البشرية، لأن هذا التاريخ متصل الحلقات، كما تتصل النطف في الأصلاب حتى آدم، وهو وعي إنساني عظيم.

أحب أن أشر هنا إلى اختلاف موقعنا من كل من التجريبتين موضع المقارنة. فبالنسبة للاولى، نحن أمام تجربة اكتمل رسم خطها البياني، بينما نحن الآن أمام تجربة ما زال خطها البياني لم يكتمل. ومطلوب، ونحن نقارن أن نلاحظ أين نقف عند أية نقطة، في الخط البياني الثاني. الخط البياني الاول - وأنا من الذين يميلون دائماً لتمثيل حركات التاريخ بخط بياني، وفي أكثر من تجربة بدا لي مدى الجدوى من هذا الصعيد - أي الخط البياني في حروب الفرنجة، المدى الزمني له قرنان، وهو حصيلة قوى عربية ترسم خطها البياني وكيف صارت، وحصيلة قوى الفرنجة وكيف صارت أيضاً، والآن الصورة التاريخية ترينا النتيجة. بينما الخط البياني للصراع العربي الصهيوني لا يزال يتحرك.. فمطلوب إذاً بداية أن نرى أين نحن. أنا من الذين يقولون أننا نقف عند نقطة تحول في الصراع العربي الصهيوني، وأرى أن مرحلة الهزيمة والنكبة، في وعي امتنا، انتهت وانتقل الوعي إلى مرحلة الاحياء والصحو. لا يعني هذا أن ذلك الوعي عم، ولكنه بات غالباً، وقد سبق في ندوة مماثلة ضمت الاخوة الأعزاء، وفي عدد من البحوث، أن شرحنا هذه النقطة، فلا حاجة لتفصيلها. ولكنني سأعلق على النقطة التي تفضل أحد الاخوة وطرحها، أي إلى أي مدى يرد الحديث عن حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية في مجتمعنا العربي اليوم.. وإلى أي مدى يرسخ الوعي؟ سأضع ثلاثة مستويات: الاول، مستوى البحوث. والحقيقة أن الندوة أغرنتني أن أعود إلى مكتبي، وأراجع ما ورد فيها من كتب، ثم أراجع المراجع التي ذكرت في هذه الكتب. وأنا مطمئن إلى أن حداً لا بأس به من الأعمال صدرت عن حروب الفرنجة، خلال نصف القرن الماضي، بل يمكن القول خلال القرن الماضي.. فنجد حديثاً واعياً جداً عند شكيب أرسلان، وعند محمد كرد علي. ونجد أن الحديث بدأ يزداد قبيل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، د. حسن حبشي مثلاً، وكان لا يزال في بدايات تخرجه، حيث طبع كتابه عام ١٩٤٧ عن الحروب الصليبية الاولى، وأضاف جديداً وهو تقديم النصوص اللاتينية التي تصور وجهة نظر الصليبيين، وكان قد أنجز رسالتي الماجستير والدكتوراه حول الموضوع نفسه. في الخمسينات والستينات، زاد ذلك على صعيد الدراسة الجامعية وعلى صعيد تحقيق الكتب. فمثلاً د. سعيد عاشور قام بدور ليس بالقليل، وشاكر مصطفى قام بدور ليس بالقليل في سوريا، وحسن ابراهيم حسن تعرض لهذه الحروب في تاريخ الاسلام العام. وبلغت النظر أنه، في فترة ثورة ٢٣ تموز/يوليو حدث إقبال على تحقيق بعض الكتب التي تناولت تلك الفترة. فقد صدر مثلاً كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي في طبعة شعبية عن دار الكتب القومية، ومن قبله صدر كتاب القاضي بن شداد في أوائل الستينات. نلاحظ مثلاً - في دمشق - وفي سلسلة التراث، أعيد طبع كتاب ابن شداد، وكتابه الاعتبار. وكان فيليب حتي أول من حقق كتاب الاعتبار في نسخته الاولى، تلك الكتب تناولت تاريخ الحروب

الصليبية، ولكن كتباً أخرى ظهرت بعد ذلك تناولت المشابهة، من بينها نشير إلى أن المرحوم الأستاذ أحمد الشقيري حرص على أن يكتب كتاباً بعد تركه العمل السياسي، بعنوان ما أشبهه اليوم بالبارحة. وكان د. أنيس القاسم قد كتب كتاباً من هذا النوع. ثم برزت كتب على صعيد رسائل الماجستير والدكتوراه. كما أن مؤتمر بلاد الشام الذي قامت به الجامعة الأردنية وجامعة دمشق، حفل على مدى دوراته المتعاقبة ببحوث عن حروب الفرنجة. إذاً هناك حد أدنى من المعالجة على صعيد الفكرة، قد لا تكون عممت بعد، وقد لا تكون طابع العلوم السياسية الحديثة في أسلوبها، ولكنها قدمت «فرشة» أولى.

ماذا على صعيد القادة السياسيين؟ الحق أنني أتفق مع ما ذكره د. هلال من أن الرئيس الراحل عبد الناصر كان دائماً ينسج على هذه المقارنة ويلاحظها، ولكن يلفت النظر أن الأجانب الذين زاروا قصر الرئاسة في دمشق لاحظوا أن القاعة التي يلتقي فيها الرئيس هناك بهم خالية، إلا من لوحة واحدة كانت دائماً مدار تعليقاتهم، عن موقعة حطين.

أنا أطمئن إلى الرأي الذي يقول إن استحضار المثل الفرنجي - الصليبي قائم على صعيد عامة الناس، من خلال المسجد. إذ لا تخلو خطبة جمعة في مناسبة الأحداث الراهنة، من الإشارة إلى صلاح الدين، حقيقة. ولكن يجب أن أتفق مع زملائي على أن الحديث هنا عام، ويقتصر فقط على الإشارة إلى دور العقيدة. ولكن المتحدثين لا يتعمقون في حديث هذه الحروب، ولا يأتون بأمثلة منها توظف لعصرنا الراهن، وهو أمر يجب التنبيه إليه عند معالجة ذلك الموضوع. ويجب أن نلاحظ أن التنظيمات السياسية لا توظف بعد الدراسات التاريخية التي ذكرناها بالشكل الكافي. والأمر هذا مطلوب جداً على هذا الصعيد.

قد نقف أمام ما جرى الحديث عنه حول النظرة اليهودية للتاريخ والنظرة العربية، ولا أدري كيف نقيس هنا هذه النظرة لأنني، كممارس سياسي، أرى أن القادة الصهاينة هم أسرى نظرية تمثيلية يلخصها قول اسحق شامير، في مطلع الانتخابات السابقة «إن القضية الرئيسية في هذه الانتخابات هي حدود إسرائيل، كما جاءت في التوراة». وصحيح أنه على صعيد شريحة من الأساتذة هناك من يناقش هذه القضايا، ولكني أرى بوضوح أن المحصلة من هذه المناقشات التي تصل إلى القيادة السياسية، هي محاولة تمكين هذا الاستعمار الاستيطاني، وعدم الاستفادة من أي عبرة من العبر، وهذا ليس بمستغرب، لأنه من طبيعة الاستعمار الاستيطاني. وأكاد أقول إنه لا جدوى هنا من الاستفادة من عبرة التاريخ، لأن هؤلاء المستعمرين المستوطنين موضوعون في وضع معين ولا بد أن يخوضوا الغمار إلى مده، ولا مفر من أن يواجهوا الإحياء الذي حدث من قبل.

● د. أسامة الغزالي: شكراً للدكتور صدقي، وكما استمعنا فإنه لم يتحدث فقط عن عوامل النصر، ولكنه أيضاً سعى إلى رد الاعتبار إلى مؤرخينا العرب - القدامى والمحدثين - فيما يتعلق باستخلاص عبرة الحروب الصليبية. وأعتقد أنه قد أن الأوان للانتقال للاستماع للدكتور هلال ليحدثنا عن دلالات المواجهة العربية الإسلامية ضد الصليبيين، بالنسبة لمستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، وبالنسبة لمستقبل إسرائيل في المنطقة.

○ د. علي الدين هلال: ربما كان كثير من القضايا أو الموضوعات التي كنت أنوي تناولها، قد تم عرضها بالفعل، ولذا فإن ما سوف أفعله هو محاولة وضع بعض ما قيل في سياق منظم، وربما أضيف بعض الأمور الأخرى.

أتصور - قبل أن أبدأ - وفي باب التعليق المباشر على حديث د. الدجاني، أن كل ما تفضل به يفترض استشعار الخطر، والإحساس بالتحدي، وهذا هو الذي يؤدي إلى تلك الآليات والتطورات التي تحدث عنها من أيديولوجية مكافحة، ومن روح الجهاد، والقيادة.. إلخ. وربما كانت إحدى القضايا التي يجب أن تستوقفنا تتعلق بالسؤال: إلى أي مدى هناك استشعار حقيقي بالخطر أو بالتهديد لدى المواطن العربي، ولدى القيادات العربية؟ وبعيدا عن الشعارات، ربما ينبغي أن نطرح السؤال: إلى أي مدى فعلاً تشعر تلك القيادات، ثم تنقل هذا إلى مواطنيها، بوجود خطر داهم أو خطر آني، علينا أن نتعامل معه؟

عندما نتحدث عن الدلالات، وإذا أردت أن أبدأ أيضاً من بداية منهجية ما، قريبة مما تفضل به الأستاذ يسين، أقول بالطبع التاريخ كما يقولون هو الماضي منظورا إليه من وجهة نظر الحاضر. بعبارة أخرى: التاريخ مستودع للأحداث والوقائع والتطورات، وأن عين الحاضر، وهموم وتحديات وطموحات المجتمعات الحاضرة، هي التي تستنفر بعض الأحداث والقضايا دون غيرها، وتثير بعض الأسئلة دون غيرها. ليس في ذهني أبداً النظرة الانتقائية، أو تزوير التاريخ، ولكن السؤال هو: لماذا تثار أسئلة معينة دون غيرها؟ وهنا، فإن تلك الأسئلة يكون موضعها الحقيقي هو الحاضر ومشاكله. في هذا المقام، الحديث هو عن الحروب الصليبية، لأننا نعيش وضعا نواجه فيه تحديات مماثلة، وتستشعر فيه أخطارا مماثلة، وهنا التاريخ يأتي ليس دائما ليلعب دورا إيجابيا. ففي كثير من الأحيان يستخدم التاريخ لدينا للهروب من الحاضر، أي يستخدم لدينا للانغلاق والتباهي بالانتصارات السابقة، دون أن نبحث في أسباب هذا الانتصار، ودون أن نبحث في كيفية التشبه بتلك الأسباب، أو كيف نقنط بتلك الأسباب، أيضا، التاريخ في كثير من الأحيان يبدو لنا كسجن، وكأن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن علينا أن نتحرك في إطار الصياغات والأفكار التي ابتدعت منذ سنوات طويلة. النظرة الأخرى للتاريخ، أي التاريخ كحافز أو التاريخ كدافع أو كمصدر للحلم التاريخي، في هذا المقام تحدثنا هنا حتى الآن عن البعد الزمني، فأول دلالة أننا ازاء معركة طويلة الأمد، ومن ثم فإن الحديث عن موقعة ما يُحسم فيها الأمر، هو حديث غير جاد. نحن ازاء نضال تتعدد أشكاله ومراحله ومواقعه. والدلالة الثانية، أو المعنى الثاني، هو ما نسميه أحيانا بـ «حضارية المعركة» أي أن هذه المعركة، وهذا النضال، جزء منه سياسي وجزء منه دبلوماسي، وآخر اقتصادي، وآخر عسكري، وآخر منه إقليمي ودولي.

المعنى الثالث، هو تعدد أساليب المواجهة: أي أنه عبر هذه المواجهة، هناك حرب وهناك هدنة، وهناك قنوات مختلفة للتعامل مع العدو. الذي يبقى، هو أن الحرب من ناحية، أو الهدنة من ناحية أخرى لا بد أن تكون جزءا من تصور كفاحي، أي: أنت تعقد الهدنة، ليس استسلاما، وإنما إدراكا منك أنك غير مستعد للمواجهة، وأنه حماية لمصادر واستعدادا لموقعة أخرى، عليك أن توقف القتال، ولكن الذي يبقى أن هذه الهدنة ينبغي ألا تغلق الباب أمام المرحلة القادمة، إذا هناك تعدد للأدوات وللنقوات، في سياق هذا النضال.

ما هي مجالات هذا النضال الأساسية؟ في تصوري أنه لدينا ثلاثة مجالات، وهنا تبدو دلالة حروب الفرنجة: الدلالة الأولى تتعلق بالمجتمع الاستيطاني نفسه. بعبارة أخرى: علينا أن نتفهم ماذا يحدث في داخل هذا الكيان. ما هي مصادر قوته، وما هي مصادر تضامنه الداخلي؟ وأيضا: ما هي مصادر ضعفه وتناقضاته ومشاكله؟ وعندما ندرس المجتمعات الصليبية من ناحية، وعندما

ندرس المجتمع أو الكيان الإسرائيلي من ناحية أخرى، نرى الكثير من عوامل الوحدة والتضامن، وأيضاً عوامل التناقض والتفكك والتمزق. ففي إسرائيل مثلاً، لدينا قضية علاقة اليهود الشرقيين باليهود الغربيين، وعلاقة المهاجرين بجيل الصابرا أو المولودين على أرض فلسطين. ولدينا العلاقة الأهم بين العرب الذين يعيشون تحت الاحتلال، واليهود، بما في ذلك القضية الديموغرافية والمرتبطة بالتوازن السكاني بين العرب واليهود، والتي تركت دون أي تدخل طبيعي، ففي حدود سنة ٢٠٠٠ - إلى ٢٠١٠ وبالتعبير الصهيوني، تفقد الدولة الصهيونية «طبيعتها»، بتعبير هرتزل: أريد دولة يهودية تكون يهودية بقدر ما فرنسا فرنسية أو بريطانيا انكليزية»، ويقصد بهذا دولة أغليبتها يهودية. وبدون أي تدخل من الخارج، وإذا تركنا الأمر للتوازن السكاني الطبيعي - وأخذاً في الاعتبار عناصر الهجرة اليهودية إلى فلسطين - فإن هذه الدولة سوف تفقد شرعيتها الصهيونية. إذا الدلالة الأولى هي أن نتفهم ما هي فعلاً مصادر التفكك في هذا المجتمع، ودون مبالغة فيها، نرى الخط البياني لهذه التناقضات، وإلى أين تتجه.

الدلالة الثانية، أو المعنى الثاني، هي ما أثير في هذه المناقشة حول العلاقة مع الظهير الأجنبي، أو مع الدولة الأم الأجنبية.. أو مع مصادر التأييد الأجنبية والدولية. وهذه خصيصة لكل المجتمعات الاستيطانية، فهذه المجتمعات تنشأ وهناك معنى ما لدولة أم، تقدم البشر وأحياناً المال والعتاد.. وتقدم المساندة الدولية والسياسية في المراحل الأولى للعملية الاستيطانية. وفي هذا المقام، فإن سقوط الإمارات الصليبية ارتبط بتقلص العلاقة بين تلك الإمارات وأوروبا. معنى هذا أن إحدى الدلالات هي أن نتمعن جيداً في الظهير المساند لإسرائيل، مثلاً على مستوى البشر - وهي قضية حاسمة إذا ربطنا بينها وبين ما قلته عن المسألة الديموغرافية - علينا أن نبحث: أين مخازن البشر الآن بالنسبة لإسرائيل؟ والأرجح أن الدبلوماسية الإسرائيلية والفكر الإسرائيلي يفكران في هذا. ولا بدّ أنه يعتقد أن أحد مكونات الأمن الإسرائيلي في المرحلة القادمة - لمدة عشرين سنة - هو كيف يمنع ما قلت إنه تطور طبيعي، من أن يحدث، إما بالهجرة وإما بأساليب أخرى.

هذا يعني أنه إذا كان هناك من يرسم استراتيجية عربية في مواجهة إسرائيل، فإن عليه أن يمنع المستودع البشري هذا من أن ينطلق من عقاله، لأن هذا المستودع البشري، يمكن أن ينطلق من عقاله، ليس لأسباب إسرائيلية، وإنما لأسباب تتعلق بالتوازن الكوني. ومن هنا يلزم فهم الوضع العمالي، وإدراك جيوب الوجود اليهودي أو الجاليات اليهودية في العالم، والمناطق المرشحة للهجرة إلى إسرائيل.. والظروف التي يمكن أن تسمح فيها دولة ما بالهجرة.. وكيف نعمل لإغراء هذه الدولة بآلا تفعل ذلك.

الدلالة الثالثة هي الإرادة العربية، أو ما أسميه إرادة القتال أو بناء مجتمع محارب، وتفكيري هنا لا يختلف كثيراً عما ذكره د. الدجاني، وربما فقط، اختلف في المصطلحات، فأنا أتحدث عن أيديولوجية جهادية وعن القيادة المحاربة وعن التضامن السياسي في المنطقة، وتحدث د. الدجاني طويلاً عن الأيديولوجية والقيادة، وربما نتوقف بعض الشيء أمام قضية: الإرادة الإقليمية، أي أنه لا يمكن مواجهة هذا الخطر انطلاقاً من عاصمة واحدة أو من قطر أو بلد واحد، وأنه لا بد من تضامن إقليمي، وفي وقتنا الراهن هو تضامن عربي، لمواجهة هذا الخطر.

هذا يعني أنه إذا استشعر العرب الخطر يثور السؤال: ما هي مجالات الاستراتيجية العربية إزاء إسرائيل؟ من واقع المعرفة بما حدث في حروب الفرنجة، تبذلنا على الفور ثلاثة أمور:

الأول، ماذا نفعل لتعميق الانقسامات في داخل هذا الكيان الاستيطاني، أو ماذا نتوقع فعله، لكي نسمح لتلك التداعيات بالاستمرار؟ وأقول هذا لأن بعض السلوكيات العربية من شأنها دعم الوحدة في داخل إسرائيل دون أن تقصد، وبعض التصريحات التي لا تؤدي سوى إلى مكاسب إعلامية يكون لها وقع السحر على وحدة وتضامن المجتمع الاستيطاني. والمكون الثاني لهذه الاستراتيجية: كيف نعمل على إضعاف الروابط مع الظهير الأجنبي؟ وهذا أيضا موضوع متداخل، فالظهير الأجنبي قد يكون ظهيرا ماليا، وقد يكون سياسيا أو بشريا، وفي رأيي أن هذا المكون ربما كان أكثرها أهمية. أما المكون الثالث: فهو تدعيم القوة الذاتية من خلال العناصر المختلفة التي تحدثنا عنها.

وهنا أريد أن أركز على أمرين: أولهما، أنه منذ وفاة الرئيس عبدالناصر لا يمكن القول إنه ظهرت زعامة عربية يمكن أن نسميها بالزعامة القومية. وهذا ليس انتقاصا من شأن هذه القيادات، ولكنه إقرار لواقع أن الشعوب العربية - لأسباب قد نتفق أو نختلف عليها - لم تتطلع إلى زعيم ما، منذ عام ١٩٧٠، كما تطلعت إلى زعامة عبدالناصر، أي أن القيادات السياسية العربية، مع حسن نياتها ومع توجهاتها القومية، إلا أنها في واقع الأمر زعامات قطرية، أي أن الولاء السياسي لها هو أساسا ولاء قطري، واعتقد أنه دون حل لهذه المسألة تظل لدينا مشكلة، لأن إحدى الدلالات لزعامة صلاح الدين، أو هذه السلسلة الذهبية من القيادات التي تحدث عنها د. الدجاني، تقتض وجود زعامة لها تأييد ولها ولاء في قطاعات شعبية عريضة. الأمر الثاني، هو التضامن العربي، لأنه من غير المتصور أي حديث عن أي مواجهة مهما تضاعف شأنها، في إطار وطن عربي مفكك، مشرذم، تتعاك زعاماته مع بعضها البعض، أكثر مما تنظر إلى الأعداء الخارجيين. والأرجح أن الموارد مخصصة للتنافسات والصراعات الداخلية أو للمعارك الجانبية، أكثر مما هي مخصصة لمواجهة العدو الرئيسي. والحقيقة أن الأمرين مرتبطان، أي أن وجود زعامة قومية مرتبط بوجود الاتفاق على الحد الأدنى، أو ظهور إرادة عربية تتجه تدريجيا نحو إرادة القتال.

○ ١. السيد يسين: مع تقديري الشديد للنقاط المهمة التي ذكرها د. هلال، أخشى أن يجرفنا جو الندوة، وإغراء المشابهات إلى تجاهل الواقع العربي الراهن، لعلني أشرت في كلمتي إلى خطورة اختزال الحروب الصليبية في واقعة واحدة، هي واقعة الانتصار، ولكن الحروب الصليبية سلسلة معقدة ومركبة من مراحل الصراع والمهادنة والحرب، ولو وضعنا هذا الموضوع أمامنا نستطيع أن نقرب من الواقع المعاصر. وأستطيع القول مستعيرا عنوان كتاب الفريق أول محمد فوزي، استراتيجية المصالحة أن المناخ السائد في الوطن العربي، بمعنى الخطاب السياسي للأنظمة العربية، يتبنى استراتيجية المصالحة، وليس استراتيجية الصراع، هذه حقيقة أولى ينبغي أن نقف عندها طويلا.

وبالتالي، فإن كل الوصايا التي قدمها د. هلال قد لا تنطبق، وقد لا تكون قابلة للتطبيق في هذا المناخ السائد، هي قد تعتبر من باب التمنيات بالنسبة لنا كمتقنين عرب نتمنى لو استطاع الوطن العربي أن يحشد قواه الدولية للمجابهة. ولكن هذه التمنيات لا علاقة لها بالواقع، وبالخطاب السياسي للأنظمة الراهنة، ربما بغير استثناء، بغض النظر عن الزايدات الكلامية والخطب الحماسية والشعارات الثورية، التي تكشف الممارسات العملية عن زيفها، والتي تؤكد أن هذه الأنظمة لا تسير في اتجاه القتال أو اتجاه المصادمة الحاسمة مع العدو الإسرائيلي.

إذا كان هذا انطلاقاً من الواقع، فيبقى أن نستخلص العبرة مما حدث في الحروب الصليبية، وعلينا أن نتساءل: هل كانت فترات الهدنة التي تمت في المسيرة الطويلة للحروب الصليبية إيذاناً بانتهاء القتال إلى الأبد، أم استسلاماً للمكاسب الجزئية التي حققها العدو.. أم كانت فترات تعبئة وحشد للمجتمع العربي لجولات قادمة؟

وهنا تبدو أهمية المشابهة، لو أردنا استخلاص العبر والدروس وأشير إلى إشارة د. علي في كلمته أنه قد لا يكون مدانا أن يتجه الوطن العربي في لحظة ما إلى المساومة، بشرط أن يكون ذلك في إطار استراتيجية طويلة المدى ومن شأنها تعبئة القوى على المدى الطويل، حتى لحظة المواجهة القادمة، والسؤال هنا: هل استراتيجية المصالحة السائدة الآن في الوطن العربي، هي تسليم بشرعية الوجود الصهيوني وإقلاع نهائي عن جولة أو جولات قادمة من الصراع الحاسم مع العدو الصهيوني، أم أنها مجرد فترة لالتقاط الأنفاس، وحشد القوى وتعبئة الموارد لجولة قادمة؟ وإن كانت الإجابة عن السؤال بالشق الأول، أي أنها تسليم نهائي، فينبغي مناقشة هذه القضية الخطيرة، وإن كانت الإجابة بالشق الثاني، أي أن لدى القادة العرب وعياً حقيقياً بأهمية التخطيط طويل المدى للمجابهة مع المشروع الصهيوني، يكون علينا أن نثير النقاط الأساسية عن الاستراتيجية المثلى التي ينبغي اتباعها في فترة المصالحة أو الهدنة، استعداداً لجولة قادمة.

○ د. علي الدين هلال: لقد أحسن الأستاذ يسين كثيراً بمدخلته هذه، وأعتقد أنه أفصح عن بعض ما أوردته، واتفق معه فيما قال، ولكن إذا اتفقنا أن الصراع مع الكيان الاستيطاني هو صراع ممتد، وإنه صراع تتداخل فيه كل جوانب الحياة، وأنه ليس معركة بين جيشين بل هو صراع بين مجتمعين: اقتصاد، سياسة، دين، ثقافة، قيم.. أيديولوجية، تربية وتعليم، نشء.. إلخ. والمواجهة ليست إقليمية بحتة، بل هناك ضغوط ومحددات دولية قد تفرض عليك وعلى الطرف الآخر، مواقف خارجة عن حدود التوازن بين طرفي القتال. وقد حدث هذا أكثر من مرة في جولات الحروب، أي لم تتحدد النتيجة بالتوازن على الأرض، وإنما بضغوط خارجية وبتهديدات مباشرة من أطراف دولية. وعندما نقول إننا نتحدث عن نضال، إذن نتذكر أننا نريد أن نخوض هذا النضال للنصر فيه. وكما يقول مفكر استراتيجي صيني شهير «إن أعظم الانتصارات العسكرية هي تلك التي ينتصر فيها القائد، قبل أن يدخل المعركة». أي إذا انتصرت دون أن تدخل المعركة، فهذا هو أعظم انتصار، بمعنى إذا خلقت موقفاً استراتيجياً (عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً) من شأنه أن يقنع العدو بتغيير موقفه، دون أن تطلق رصاصة واحدة.

ولكن كيف نفهم روح المصالحة، قد يكون من الصعب أن ندخل في تفاصيل، ولكن إذا نظرنا لهذه المسألة نظرة تاريخية، وبغض النظر عن نيات من يتحدثون عن السلام أو المؤتمر الدولي، فإن ما يصلون إليه لن يكون سوى هدنة. حجتني على هذا هو ما ستفعله إسرائيل. وبعبارة أخرى، فإنه بغض النظر عما يتصوره بعض الزعماء العرب من أنهم يستطيعون الحصول على السلام، حتى بمعنى من المعاني، فإن تفاعلات الأحداث وتدابيراتها، لن تجعل مما يتوصل إليه سوى هدنة، ونستطيع أن نرى تجربة التاريخ: عندما يصير مناحيم بيغن ذات مرة على لقاء الرئيس السادات في شرم الشيخ، وبعد اللقاء بثلاثة أيام تنطلق الطائرات الإسرائيلية لمهاجمة المفاعل النووي العراقي، وعندما تقوم إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢، وعندما تثار الأزمة حول طابا.. وعندما ننظر في أعداد الجيش الإسرائيلي وخطته الإسرائيلية ومناوراتها وحجم السلاح الذي يمتلكه، وعندما ننظر في الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي حول تصورهم للمستقبل، ومنها الوثيقة

التي أشار إليها الأستاذ سيد يسين.. وعندما ننظر إلى تجربة ما سمي بالتطبيع سواء في لبنان أو في مصر، وماذا نتج عنها... إلخ.

أي بعبارة أخرى، بغض النظر عن نيات واجتهادات الذين يتصورون امكانية توقيع معاهدة ما، فإن المعطيات الموضوعية ومسار التفاعل الواقعي، وطموحات المشروع الصهيوني، تؤدي بهذه الأمور إلى أن تكون هدنة.

○ د. قاسم عبده قاسم: تعقياً على كلام د. هلال، موقف الأنظمة العربية هو موقف سلبي، أو هو موقف رد فعل تجاه التصرفات الإسرائيلية، وهذه التصرفات الإسرائيلية ربما هي التي سوف تجعل العرب يعدلون استراتيجية المصالحة لتصبح مجرد هدنة، واعتقد أننا إذا استوحيينا الدرس التاريخي، فإنه في كل مرة كان يعقد فيها أحد القادة هدنة ما، فإنما كان يفعل ذلك لغرض يخدم قضية الحرب، وذلك ينطبق على جميع حالات الهدنة التي وقعها المسلمون والعرب مع الصليبيين، حيث كانت عسكرية، أي تتعلق بالاعداد للحرب، وهذا ينطبق على حالات الهدنة التي وقعها صلاح الدين مع بعض الصليبيين والتي كانت موجهة ضد بعضهم الآخر. والنموذج الأمثل على هذا هو مجموعة اتفاقات الهدنة التي عقدها السلطان الظاهر بيبرس، حيث كان يعقد هدنة مع فلان.. لكي يضرب فلانا الآخر.. وهكذا.

● د. اسامة الغزالي: شكراً يا د. قاسم، واعتقد بذلك أننا قد وضعنا أيدينا على كثير من الدروس أو العبر التي تنطوي عليها المواجهة القديمة ضد الصليبيين، ودلالاتها فيما يتعلق بالمواجهة المعاصرة ضد الصهيونية وإسرائيل. وتبقى القضية، بعد ذلك، هي امكانية الاستفادة الفعلية أو الواقعية من تلك الدروس، وترجمتها في استراتيجية عربية واحدة، واضحة المعالم، في مواجهة التحدي الصهيوني والإسرائيلي □

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

صورة المرب في عقول الأمريكين

الدكتور ميخائيل سليمان